
البردوني
أبو تمّام وعروبة اليوم .....
أبو تمّام وعروبة اليوم .....

أبو تمّام
وعروبة اليوم

ديسمبر 1971م

مـا أصـدقَ الـسَّـيـفَ إن لـم يُـنـضـهِ الـكَـذِبُ
وأكـذبَ الـسَّـيـفَ إنْ لـم يـصـدُقِ الـغَـضَـبُ

بـيـضُ الـصـفـائحِ أهـدى حـيـنَ تـحـمِـلُـهـا
أيـدٍ إذا غَـلَـبَـتْ يـعـلُـو بـهـا الـغَـلَـبُ

وأقـبـحُ الـنَّـصـرِ نـصـرُ الأقـويـاءِ بـلا
فَـهْـمٍ، سِـوى فـهـمِ كـم بـاعـوا وكـم كَـسِـبـوا

أدهـى مـن الـجـهـلِ عِـلـمٌ يـطـمـئِـنُّ إلـى
أنـصـافِ نـاسٍ طَـغَـوْا بـالـعـلـمِ واغـتـصـبـوا

قـالـوا: هـمُ الـبـشـرُ الأرقـى، ومـا أكـلـوا
شـيـئـاً كـمـا أكـلـوا الإنـسـانَ أو شَـرِبـوا

* * *

مـاذا جـرى يـا أبـا تـمَّـام؟ تـسـألُـنـي!
عـفـواً سـأروي ولا تـسـألْ: ومـا الـسَّـبـبُ؟

يَـدْمـى الـسـؤالُ حـيـاءً حـيـنَ نـسـألـهُ:
كـيـف احـتـفـت بـالـعِـدا (حـيـفـا) أو(الـنَّـقـبُ)

مَـنْ ذا يُـلَـبِّـي؟ أمَـا إصـرارُ مُـعـتـصـم
كـلَّا وأخـزى مـن (الأفـشـيـنِ)[1] مـا صَـلـبـوا

الـيـومَ عـادتْ عُـلـوجُ (الـرُّومِ) فـاتـحـةً
ومَـوطِـنُ الـعَـرَبِ الـمسلـوبُ والـسَّـلَـبُ

مـاذا فـعـلـنـا؟ غَـضِـبـنـا كـالـرِّجـالِ ولـم
نَـصـدُق، وقـد صَـدَقَ الـتَّـنـجـيـمُ والـكُـتُـبُ

فـأطـفـأتْ شُـهُـبُ (الـمـيـراجِ) أنـجُـمَـنـا
وشـمـسَـنـا، وتـحـدَّت نـارَهـا الـخُـطَـبُ

وقـاتـلـت دونـنـا الأبـواقُ صـامـدةً
أمَّـا الـرِّجـالُ فـمـاتـوا ثَـمَّ أو هـربـوا

حُـكَّـامُـنـا إنْ تَـصَـدَّوا لـلـحِـمَـى اقـتـحـموا
وإن تَـصَـدَّى لَـهُ الـمـسـتـعـمـرُ انـسـحـبـوا

هـمْ يـفـرشـونَ لـجـيـشِ الـغـزوِ أعـيُـنَـهُـمْ
وَيـدَّعـونَ وُثُـوبـاً قـبـلَ أنْ يَـثِـبـوا

الـحـاكـمـون و(واشـنـطـن) حـكـومـتُـهُـمْ
والـلاَّمـعـونَ ومـا شَـعُّـوا ولا غـربـوا

الـقـاتِـلـون نـبـوغَ الـشَّـعْـبِ تَـرضـيـةً
لـلـمُـعـتـديـنَ ومـا أجْـدَتْـهُـمُ الـقُـرَبُ

---

(1) حيدر الأفشين: قائد جيش المعتصم، فخانه فصلب وأُحرق، وقال أبو تمام في حرقه رائيته الشهيرة: «الحقُّ أبلج والسيوفُ عواري»... إلخ.

لـهـم شُـمـوخُ (الـمُـثـنَّـى) ظـاهـراً ولَـهُـمْ
هـوَىً إلـى (بـابِـكَ الـخَـرْمـيِّ)[1] يـنـتـسـبُ

* * *

إذاً تـرى يـا (أبـا تـمّـام) هـل كَـذَبَـتْ
أحـسـابُـنـا، أو تَـنـاسـى عِـزْقَـهُ الـذَّهـبُ؟

عـروبـةُ الـيـومِ أُخْـرى لا يَـنِـمُّ عـلـى
وجـودِهـا اسْـمٌ ولا لـونٌ ولا لـقـبُ

تِـسـعـونَ ألـفـاً لـ(عـمُّـوريَّـةَ) اتَّـقـدوا
ولـلـمُـنَـجِّـمِ قـالـوا: إنَّـنـا الـشُّـهُـبُ

قـيـلَ: انـتـظـارُ قِـطـافِ الـكَـرْمِ، مـا انـتـظـروا
نُـضْـجَ الـعـنـاقـيـدِ، لـكـن قـبـلَـهـا الـتـهـبـوا

والـيـومَ تِـسـعـونَ مـلـيـونـاً ومـا بَـلـغـوا
نُـضْـجـاً، وقـد عُـصِـرَ الـزيـتـونُ والـعـنـبُ

تـنـسـى الـرؤوسُ الـعـوالـي نـارَ نـخـوتِـهَـا
إذا امـتـطـاهـا إلـى أسـيـادِهِ الـذَّنَـبُ

(حـبـيـبُ) وافـيـتُ مـن صـنـعـاءَ يـحـمـلُـنـي
نـسـرٌ وخـلـفَ ضـلـوعـي يـلـهـثُ الـعـربُ

مـاذا أُحـدِّثُ عـن صـنـعـاءَ يـا أَبَـتـي؟
مـلـيـحـةٌ عـاشـقـاهـا الـسِّـلُّ والـجَـرَبُ

---

(1) المثنى بن حارثة الشيباني: الفارس الشهير، وبابك الخرصيُّ: قرمطيٌّ وهو أحد القادة الذين قاوموا الدولة العباسية.

مـاتـت بـصـنـدوقِ (وضّـاحٍ)[1] بـلا ثـمـنٍ
ولـم يَـمُـتْ فـي حَـشـاهـا الـعِـشْـقُ والـطَّـربُ

كـانـت تُـراقـبُ صُـبـحَ الـبَـعـثِ، فـانـبـعـثتْ
فـي الـحُـلْـمِ ثـمَّ ارتـمـتْ تـغـفـو وتـرتـقـبُ

لـكـنَّـهـا رُغْـمَ بُـخْـلِ الـغَـيْـثِ مـا بَـرِحَـتْ
حُـبـلـى وفـي بـطْـنِـهـا (قَـحـطـان) أو (كَـرِبُ)

وفـي أسـى مُـقـلـتـيـهـا يـغـتـلـي (يـمَـنٌ)
ثـانٍ كـحُـلْـمِ الـصِّـبـا، يـنـأى ويـقـتـربُ

* * *

(حـبـيـبُ) تـسـأَلُ عـن حـالـي وكـيـف أنـا؟
شـبَّـابـةٌ فـي شـفـاهِ الـرِّيـحِ تـنـتـحـبُ

كـانـت بـلادُكَ (رَحْـلاً)، ظَـهْـرَ (نـاجـيـةٍ)
أمَّـا بـلادي فـلا ظَـهْـرٌ ولا غَـبَـبُ

أرْعـيـتَ كُـلَّ جـديـب لـحْـمَ راحـلـةٍ
كـانـت رعـتْـهُ ومـاءُ الـرَّوضِ يـنـسـكـبُ

ورُحـتَ مـن سَـفَـرٍ مُـضْـنٍ إلـى سـفـرٍ
أضـنـى، لأنَّ طـريـقَ الـرَّاحـةِ الـتَّـعـبُ

---

(1) وضّاح: عبد الرحمن بن إسماعيل، شاعر يماني غلب عليه لقب (وضّاح) لإشراق وجهه ووضوحه. أحبَّتْهُ (أمُّ البنين) زوج الخليفة (الوليد بن عبد الملك) وعندما اكتشف أمره ساعة وصل خبّأته في صندوق، وعندما عرف الخليفة أخذ الصندوق ورماه في بئر كانت تحت بساطه.

لــكِــنْ أنــا راحــلٌ فــي غـيـرِ مـا سـفـرِ
رَحْـلـي دمـي وطـريـقـي الـجـمـرُ والـحـطـبُ

إذا امـتـطـيـتَ ركـابـاً لـلـنَّـوى فـأنـا
فـي داخـلـي أمـتـطـي نـاري وأغـتـربُ

قـبـري ومـأسـاةُ مـيـلادي عـلـى كـتـفـي
وحـولـيَ الـعـدَمُ الـمـنـفـوخُ والـصَّـخَـبُ

❋ ❋ ❋

(حـبـيـبُ) هـذا صـداكَ الـيـومَ أُنـشِـدُهُ
لـكـن لـمـاذا تَـرى وَجْـهـي وتـكـتـئـبُ؟

مـاذا؟ أتـعـجـبُ مـن شَـيـبـي عـلـى صِـغَـري؟
إنِّـي ولِـدتُ عـجـوزاً، كـيـف تـعـتـجـبُ؟

والـيـومَ أذوي وطـيـشُ الـفَـنِّ يَـعـزِفُـنـي
والأربـعـونَ عـلـى خـدَّيَّ تـلـتـهـبُ

كـذا إذا ابْـيَـضَّ إيـنـاعُ الـحـيـاةِ عـلـى
وجـهِ الأديـبِ أضـاءَ الـفـكـرُ والأدبُ

وأنـتَ مـن شِـبـتَ قـبـلَ الأربـعـيـن عـلـى
نـارِ (الـحـمـاسـةِ) تـجـلـوهـا وتـنـتـخـبُ

وتـجـتـدي كـلَّ لـصٍّ مُـتـرفٍ هِـبـةً
وأنـتَ تُـعـطـيـهِ شِـعـراً فـوق مـا يـهَـبُ

شـرَّقْـتَ غـرَّبـتَ مـن (والٍ) إلـى (مـلـكٍ)
يَـحُـثُّـكَ الـفـقـرُ أو يـقـتـادك الـطَّـلـبُ

طوّفتَ حتى وصلتَ (الموصلَ) انطفأتْ
فيكَ الأماني ولم يشبعْ لها أربُ
لكنَّ موتَ المجيدِ الفذِّ يبدأهُ
ولادةً من صِباها ترضعُ الحِقَبُ

* * *

(حبيبُ) ما زال في عينيكَ أسئِلةٌ
تبدو وتَنسى حكاياها فتنتقبُ
وما تزالُ بحلقي ألفُ مُبكيةٍ
من رهبةِ البَوحِ تستحيي وتضطربُ
يكفيكَ أنّ عِدانا أهدروا دَمنا
ونحنُ من دِمنا نحسو ونحتلبُ
سحائبُ الغزوِ تَشوينا وتحجُبُنا
يوماً ستحبَلُ من إرعادنا السُّحُبُ
ألا تَرى يا (أبا تمَّامَ) بارِقَنا
(إنَّ السَّماء تُرَجَّى حينَ تحتجِبُ)

❁ ❁ ❁